

آداب الطلب والتحديث عند ابن معين

**The Etiquette of Request and Modernization
according to Ibn Ma'in**

المؤلف الرئيس/ خديجة محمد علي مالك الظهوري*

جامعة الشارقة- الإمارات العربية المتحدة

U16101241@sharjah.ac.ae

المؤلف الثانوي/ د. فاطمة الزهراء عواطي

أستاذ الحديث وعلومه المشارك بجامعة الشارقة- الإمارات العربية المتحدة

faouati@sharjah.ac.ae

تاريخ الاستلام: 2023/04/28 تاريخ القبول: 2023/05/31 تاريخ النشر: 2023/12/15

ملخص البحث:

أولى المحدثون آداب الطلب والتحديث عنايةً كبيرة، وقاموا بالتوجيه لها والتوكيد عليها، فلا يصلح أن يشتغل المرء بهذا العلم النبوي الجليل دون أن يتأدب بتلك الآداب الحميدة. ولابن معين كلام في آداب طالب الحديث والمحدث منثور في الكتب التي اعتنت بأقواله خاصة، كالتواريخ، وفي الكتب التي اعتنت بنقل أقوال العلماء عامة، وله العديد من المواقف الراسخة، تحمّل في طياتها آداباً جمّة وأخلاقاً رفيعة، وهذه الآداب التي دوّنها وسطّروها يحتاجها كل من طلب الحديث ومن تصدر للتحديث.

واتبعت في هذا البحث الموسوم بـ (آداب الطلب والتحديث عند ابن معين) المنهج الاستقرائي التحليلي، وقمّتُ بجمع تلك الآداب عن ابن معين المنثورة والمتفرقة في بطون الكتب حتى يرجع إليها بسهولة مرتبة ومصنفة، وبلغ عددها ثمانية عشر أدباً، منها ما هو مشترك بين الطالب والمحدث، وعددها أربعة آداب، ومنها ما يخص طالب الحديث وعددها ثمانية آداب، ومنها ما يخص المحدث وعددها ستة آداب.

وخلصتُ إلى أن لابن معين أقوالاً في الآداب مهمة وقيمة لم يقف عندها الكثير من طلبة العلم، ولا بد من جمعها وتقريبها لهم.

الكلمات المفتاحية: ابن معين، آداب، الطلب، طالب الحديث، التحديث، المحدث.

Research Summary:

Hadith scholars have been interested in the issue of the etiquette of receiving hadith, and these matters are among the necessary tasks in the development of hadith.

Ibn Mu'in has many sayings on this subject in his various books.

In this research tagged with: (The Etiquette of Request and Modernization according to Ibn Ma'in) I followed the inductive and analytical approach, and collected these literatures from Ibn Ma'in scattered and scattered in the stomach. of books so that he can easily reference, arrange and categorize them. And the modernist, and there are four etiquettes, some of which are related to the student of hadith, which are eight etiquettes, and among them are those related to the almahdath, which are six etiquettes.

Finally, the study came to the conclusion that Imam Ibn Mu'in has important phrases in this section that many students of science did not read.

Key words: Etiquette, demand, student of hadith, hadith, Ibn Mu'in, phrases.

* المؤلف المرسل: طالبة دكتوراه في الحديث وعلموه

مقدمة:

الحمد لله، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين؛ نبينا محمد ﷺ، وعلى آله وصحبه الطاهرين، ومن اتبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد
فإنَّ الاشتغال بعلم الحديث النبوي وآثار أصحابه رضوان الله عليهم من أفضل القربات إلى الله، وبها ينال المرء أعلى الدرجات عند الله، كما قال النووي: "ومن أهم أنواع العلوم تحقيق معرفة الأحاديث النبويات." (النووي، 1392، ج:1، ص:3)

ومما ينبغي العناية به في علم الحديث النبوي آداب طالب الحديث والمحدث. وقد ذكر ابن معين نبذة نفيسة من الآداب والأخلاق التي يجب أن يتحلَّى بها المحدث والطالب، وهذه الآداب منها ما يشترك فيها الطالب مع المحدث، ومنها ما ينفرد بها كل من الطالب والمحدث عن الآخر.

• أهمية الموضوع:

تكمن أهمية الموضوع: في إبراز أقوال ابن معين وأفعاله المتصلة بآداب الطالب والمحدث، حيث إنني لم أجد فيمن كتب عن آداب طالب الحديث والمحدث من اعتنى بأقوال ابن معين.

• إشكالية البحث:

تكمن مشكلة البحث في أنَّ الأئمة الأوائل ومنهم ابن معين قد تطرقوا إلى هذا الموضوع، ولكن كلامهم على أهميته كان منثوراً ومتفرقاً بين الكتب، وأحاول في هذا البحث جمع أقوال ابن معين والإشارات التي صدرت من ابن معين في هذا الموضوع وتصنيفها خاصة وأنَّ بعضها غير موجود في كتب المصطلح.

• أهداف البحث:

- جمع أقوال ابن معين وأفعاله المتناثرة المتعلقة بآداب الطلب والتحديث
- تصنيف وتقريب هذه الأقوال القيمة لطلبة العلم.

• الدراسات السابقة:

لم أقف - حسب اطلاعي - على دراسة سابقة تناولت آداب الطلب والتحديث عند ابن معين رغم تعدد الدراسات في آداب طالب الحديث والراوي التي قد خلت من ذكر أقوال ابن معين، أو اكتفت بذكر قول واحد أو قولين فقط.

ومن هذه الدراسات:

- 1- مجالس الحديث وآداب روايته، محمد عجاج الخطيب، مجلة أضواء الشريعة، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، العدد 4، 1979.

- 2- آداب راوي الحديث النبوي، د. سميرة الشابي، الناشر مجلة التنوير في جامعة الزيتونة، العدد 11، 2009.
- 3- آداب طالب الحديث النبوي، د. سميرة الشابي، الناشر مجلة التنوير في جامعة الزيتونة، العدد 12، 2010.
- 4- آداب طالب الحديث والمنهج العلمي في تلقيه لسيد عبد الماجد الغوري، مجلة الحديث في الكلية الجامعية الإسلامية العالمية بسلانجور، العدد 5، 2013.
- 5- بحث الآداب التي ينبغي أن يتقيد بها كل من المحدث وطالب الحديث لأحمد عمر هاشم، -مجلة الداعي س 31 ع 2، 1، الناشر: دار العلوم في الجامعة الإسلامية، 2007، - الناشر لم يتح المادة ولم أستطع الاطلاع عليها.

● منهج البحث: اتبعتُ في هذا البحث المنهج الاستقرائي التحليلي.

وقد قسمت البحث إلى مقدمة وثلاثة مطالب وخاتمة:

- المطلب الأول: الآداب المشتركة بين الطالب والمحدث عند ابن معين
- المطلب الثاني: آداب طالب الحديث عند ابن معين
- المطلب الثالث: آداب المحدث عند ابن معين
- الخاتمة

والله ولي التوفيق وعليه التكلان وبه أستعين،،

تمهيد:

إن من أبرز صور صيانة الحديث الشريف لدى علماء الحديث اهتمامهم بأدب حملة هذا العلم؛ حيث جعلوه نوعاً من أنواع علوم الحديث، كذلك من أهم ملامح الدقة العلمية لديهم عنايتهم بضوابط التحمل والأداء، حيث أوردوا فيها عدداً من المسائل التي يتحتم معرفتها، بالإضافة إلى عدم اكتفاءهم بطريقة واحدة للتحمل والأداء، إنما عدوها ثمانية، وكل طريقة لها حكمها الخاص بها.

وقد رأيت في بحثي هذا البدء بمبحث آداب حملة الحديث، وضوابط وطرق تحمله قبل الخوض في مصطلحات أصول الحديث ودراستها؛ وذلك حتى تكون المباحث في تسلسل منطقي، ويسهل على القارئ تناولها وفهمها. وهذا ما أشار إليه الحافظ ابن حجر حيث قال: "وكذا تعليم العلم ينبغي أن يكون بالتدرج؛ لأن الشيء إذا كان في ابتدائه سهلاً حُبِّبَ إلى من يدخل فيه، وتلقاه بانسباط، وكانت عاقبته غالباً بالازدياد بخلاف ضده، والله تعالى أعلم"⁽¹⁾.

⁽¹⁾ ابن حجر، فتح الباري، ج:1، ص: 163.

المبحث الأول: آداب الطلب والتحديث عند ابن معين

تمهيد:

الأدب لغة هو: الذي يتأدب به الأديب من الناس؛ وسمي أدباً، لأنه يؤدب الناس إلى المحامد، وينهاهم عن المقابح، وأدبه فتأدب: علّمه⁽¹⁾.
أما اصطلاحاً فهو: ما ينبغي أن يتصف به الطالب من الآداب العالية والأخلاق الكريمة التي تناسب شرف العلم الذي يطلبه، وهو حديث رسول الله ﷺ⁽²⁾.

والناظر في تقسيم المصطلحات في مقدمة ابن الصلاح يرى أن ترتيب الآداب كان السابع والعشرون، ويُعذر ابن الصلاح في ذلك؛ لأنه كما هو معلوم قد أملى كتابه هذا على طلبته ولم يهذهبه، ولو قُدِّر له ذلك لما تردد في جعلها الأولى في ترتيب مصطلحات علوم الحديث؛ لأنها أول ما يُعتنى به قبل تحصيل العلم الشرعي.
وهذه الآداب قد اتفق علماء الحديث قاطبة عليها، وقد أفاد ابن معين في إيراد بعض هذه الأقوال، وهي مما يُستشهد فيها على هذه الآداب.

المطلب الأول: الآداب المشتركة بين الطالب والمحدث عند ابن معين

هناك آداب رفيعة لا بد أن يتحلى بها كل من الطالب والمحدث؛ سواءً ممن كان في عصر الرواية، أو جاؤوا بعدهم إلى يومنا هذا، ومن ذلك: الإخلاص لله سبحانه في الطلب والتحديث، واستحضار النية⁽³⁾ مع كمال الالتزام والبعد عن سوء الأخلاق⁽⁴⁾.
وهناك آداب دقيقة نص عليها ابن معين صراحة أو أشار إليها حتى أغنى عن المزيد قولاً، أو ظهرت في فعله، خاصة وأن ابن معين عالم يُقتدى به، ومن هذه الآداب:

(1) ابن منظور، لسان العرب، ج: 1، ص: 206.

(2) محمود الطحان، تيسير مصطلح الحديث، ص: 219.

(3) كما روى يحيى بن معين، قال: ثنا هارون بن المغيرة، عن عنبسة بن سعيد، عن ليث، قال: "كنا نختلف إلى طاوس، فنسكت عنه، فيحدثنا، ونسأله، فلا يحدثنا، فقلنا له ذات يوم: يا أبا عبد الرحمن، نسألك فلا تحدثنا، ونسكت عنك فتبدأنا؟ قال: "تسألوني، فلا تحضرني فيه نية، أفتأمروني أن أملى على كاتبٍ شيئاً بلا نية". الرامهرمزي، المحدث الفاضل بين الراوي والواعي، ص: 584.

(4) كما قال الخطيب البغدادي: "والواجب أن يكون طلبه الحديث أكمل الناس أدباً، وأشد الخلق تواضعاً، وأعظمهم نزاهة وتديناً، وأقلهم طيشاً وغضباً، لدوام قرع أسماعهم بالأخبار المشتعلة على محاسن أخلاق رسول الله ﷺ وأدابه، وسيرة السلف الأخيار من أهل بيته وأصحابه، وطرائق المحدثين، ومآثر الماضين، فيأخذوا بأجملها وأحسنها، ويصدفوا عن أردلها وأدونها". الخطيب البغدادي، الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، ج: 1، ص: 78.

أولاً: الحذروالتوقي من الوقوع في الخطأ:

السهر لمراجعة الحديث من دأب العلماء وطلبة والعلم، قال يحيى بن معين: "إني لأحدِّث بالحديث فأسهر له مخافة أن أكون قد أخطأت فيه"⁽¹⁾.

وهذا يدل على حرص ابن معين على الحديث وشدة احتياطه؛ امتثالاً لقول نبينا محمد ﷺ: (نَضَرَ اللَّهُ امراً، سَمِعَ مَنْنا حديثاً فحفظه حتى يُبْلَغَهُ، فُرَبَّ مُبْلَغٌ أَحْفَظُ لَهُ مِنْ سَامِعٍ)⁽²⁾.

ثانياً: قبول النصيحة:

عن عبد الله بن أحمد بن حنبل، يقول: سمعت أبي يقول ليحيى بن معين: "يا أبا زكريا بلغني أنك تقول: حدثنا إسماعيل ابن عليّة، فقال يحيى: نعم أقول هكذا، قال أحمد: فلا تقله قل: إسماعيل بن إبراهيم؛ فإنه بلغني أنه كان يكره أن ينسب إلى أمه، قال يحيى لأبي: قد قبلنا منك يا معلم الخير"⁽³⁾.

وهذا تطبيق عملي من ابن معين في قبوله لنصيحة أحمد بن حنبل له، ومما يستنبط أيضاً من هذا الموقف أهمية تسمية الرجال بما يحبون من الأسماء وترك ما يكرهونه -سواء كان مع الناس عموماً أو مع أهل الحديث خصوصاً-؛ امتثالاً لأوامر الله ﷻ في كتابه العزيز: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة: 83]

ثالثاً: النصح للمحدِّث أو تبين خطأه له لا لغيره:

قال ابن معين: "أخطأ عفان - بن مسلم الصفار- في نيف وعشرين حديثاً ما أعلمت بها أحداً، وأعلمته فيما بيني وبينه، ولقد طلب إلي خلف بن سالم، فقال: قل لي أي شيء هي؟ فما قلت له، وكان يحب أن يجد عليه"⁽⁴⁾.

وقد شهد ابن الرومي لابن معين بذلك فقال: "ما رأيت أحداً قط يقول الحق في المشايخ غير يحيى، وغيره كان يتحامل بالقول"⁽⁵⁾.

ومما يستفاد من ذلك: أهمية إسداء النصيحة لطلاب العلم في الخفاء دون العلن، وألا يتحامل طلبة العلم والمشتغلون به على بعضهم، ويسعون إلى إظهار أخطاء أهل العلم؛

(1) الخطيب البغدادي، الجامع لأخلاق الراوي، ج: 2، ص: 10.

(2) أخرجه ابن حنبل، في مسنده، مسند عبد الله بن مسعود، رقم الحديث (4157)، ج: 4، ص: 162.

(3) الخطيب البغدادي، الجامع لأخلاق الراوي، ج: 2، ص: 79.

(4) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج: 16، ص: 263.

(5) المرجع السابق، ج: 16، ص: 263..

لأنهم غير معصومين من ذلك، بل عليهم أن يبينوا خطأهم فيما بينهم دون ذيعه بين العامة؛
لئلا تسقط هيبتهم، ويُرغب عن الاستماع إليهم والتلقي عنهم.

وهذا ما يؤكده يحيى بن معين، إذ يقول: "ما رأيت على رجل خطأ إلا سترته، وأحببت
أن أزيّن أمره، وما أستقبل رجلاً في وجهه بأمر يكرهه، ولكن أبين له خطأه فيما بيني وبينه،
فإن قبل ذلك؛ وإلا تركته"⁽¹⁾.

قلت: يستفاد من النص السابق أموراً عدة تدل على مدى اكتساب وتشرب أهل
الحديث الذين ينهلون من علمه عليه السلام لأخلاق رسولنا الكريم ﷺ العظيمة، ومنها:

1- ستر المسلمين عامة وطلبة العلم خاصة؛ فمن ستر مسلماً ستره الله في الدنيا
والآخرة.

2- الثناء على المسلمين من أصحاب الطاعات وبيان مكانتهم، على خلاف أهل البدع
والفتن فيبين أمرهم حتى لا ينخدع بهم العامة.

3- استقبال طلبة العلم وأهل الحديث وغيرهم بطلاقة الوجه والبشاشة، وحسن
المنطق وحلو الكلام، وتجنب ما يُكره من الأقوال والأفعال.

4- التناصح بين المسلمين يكون على انفراد، وهو مدعاة لتراجع المخطئ عن خطئه،
وتصحیح ما بدر منه. أما إذا لم يتراجع المخطئ فالكسوت عنه وتركه أفضل بدلاً من
كشف ستره.

المطلب الثاني: آداب طالب الحديث عند ابن معين

ينبغي على طالب الحديث قبل الشروع والسعي في طلب العلم أن يتخلق بأخلاق
أهله، ويتأدب بأدب حملته. وقد ذكر ابن معين جملة من تلك الآداب النافعة، وهي:

أولاً: التاني والسكينة في طلب الحديث:

عن جعفر بن أبي عثمان قال: "كنا عند يحيى بن معين فجاءه رجل مستعجل فقال:
يا أبا زكريا حدثني بشيء أذكرك به، فالتفت إليه يحيى، فقال: اذكرني أنك سألتني أن
أحدثك فلم أفعل"⁽²⁾.

⁽¹⁾ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج: 11، ص: 83.

⁽²⁾ ابن عساکر، تاريخ دمشق، ج: 65، ص: 30.

قلت: ينبغي أن يكون طالب الحديث متأنياً تكسوه السكينة والوقار، حتى يقبله شيخه ضمن تلاميذه، ونظراً لاستعجال هذا الرجل، وحصر هدفه من السماع بالذكرى كما قال، فقد امتنع يحيى بن معين عن تحديثه، ولم يخش من رد طلبه، وهذا من حسن تصرفه، وحفظه لللسنة النبوية من عبث العابثين، وجهل الجاهلين.

وسئل يحيى عن أبي بكر بن أبي الأسود ابن اخت عبدالرحمن بن مهدي، فقال: ما أرى به بأساً، ولكنه سمع من أبي عوانة وهو صغير، وقد كان يطلب الحديث⁽¹⁾.

ثانياً: تقييد العلم واغتنام الوقت مع الأخذ بالأحوط:

عن عبد بن حميد قال محمد بن الفضل: "سألني يحيى بن معين عن هذا الحديث أول ما جلس إليّ، فقلت حدثنا حماد بن سلمة، فقال: لو كان من كتابك، فقمتم لأخرج كتابي فقبض على ثوبي، ثم قال: أمله علي؛ فإني أخاف ألا ألقاك، قال: فأمليته عليه، ثم أخرجت كتابي فقرأت عليه"⁽²⁾.

ويستنبط من هذا الموقف الجليل أموراً عديدة، ينبغي على طالب الحديث الاقتداء بها، منها:

1- قوله (لو كان من كتابك): فيه حرص ابن معين على زيادة التثبت والاحتياط، وعدم اكتفائه بالمشافهة؛ خشية أن تخطئ ذاكرة الشيخ، وهذا أمر حسن؛ لما فيه من حفظ الحديث من الزلل والأوهام.

2- حرص ابن معين على الوقت الثمين؛ لذا قبض على ثوب شيخه خشية أن تفوته الفائدة؛ وهذا كما قال ابن حجر الهيتمي: "فيه كمال التحريض على تحصيل العلم والتنفير من طول الأمل، سيما في الاستباق إلى الخيرات"⁽³⁾.

3- يفضل لطالب الحديث الجمع بين حفظ الصدر وحفظ الكتاب، فهذا الأحوط.

(1) ابن محرز، تاريخ ابن معين، ج:1، ص:90.

(2) الترمذي، الشمائل المحمدية، ص:69.

(3) ابن حجر الهيتمي، أشرف الوسائل إلى فهم الشمائل، ص:122.

ثالثاً: توقيف المحدث:

لأهل العلم هيبة ووقار ورفعة، نالوها بسبب عنايتهم بالحديث النبوي، فجعلهم الله أشرف الخلق، كيف لا؟ وهم أهل الرسول ﷺ وخاصته، فاستحقوا بذلك كل توقيف واحترام، ورفعة واعتزاز. وكما قال ابن معين: "الحديث ذل" ⁽¹⁾.

وإنَّ صُبرَ يحيى بن معين وغيره من طلبة الحديث، ووقوفهم الطويل على أرجلهم لنيل هذا العلم الشريف من أفواه أساتذتهم، هو من الأمثلة الحية التي تبين أدب ابن معين وزملاءه مع شيوخهم، وانكباهم بين أيديهم، وحرصهم الدؤوب على الإنصاف، وتدوين كل حرف يلقي على أسماعهم، وهذا ما يجب أن يكون عليه كل طالب حديث.

فقد جاء عن إسحاق الشهيد، قال: "كنت أرى يحيى القطان يصلي العصر، ثم يستند إلى أصل منارة مسجده، فيقف بين يديه علي بن المديني، والشاذكوني، وعمرو بن علي، وأحمد بن حنبل، ويحيى بن معين وغيرهم؛ يسألونه عن الحديث، وهم قيام على أرجلهم إلى أن تحين صلاة المغرب، لا يقول لواحد منهم اجلس، ولا يجلسون هيبة وإعظاماً" ⁽²⁾.

وقال ابن الجنيد: سمعت يحيى بن معين يقول: "قال رجل لعبد الله بن نمير: نحن إنما نمر بوكيع ثم نجئك - قال يحيى: وكان ابن نمير أكبر من وكيع بعشر سنين أو أكثر-، فقال له ابن نمير: (إنما يقرأ من له عقل، ويطلب العلم من له عقل، قد كنت أظن أن لك عقلاً، لا والله لا حدثتك بحديث أبداً)، وذكر يحيى ابن معين هذا عند سوء أدب بعض أصحاب الحديث" ⁽³⁾.

وقد نال ابن معين مكانة كبيرة وقدرًا وفيرًا، جعلت له من الاحترام الشديد والتوقير الشيء الكبير في نفوس تلامذته، ما جعل البخاري رحمه الله يقول عنه: "ما رأيت أحداً أوقر للمحدثين من يحيى بن معين" ⁽⁴⁾.

⁽¹⁾ ابن عدي، الكامل في ضعفاء الرجال، ج: 1، ص: 218.

⁽²⁾ الخطيب البغدادي، الجامع لأخلاق الراوي، ج: 1، ص: 185.

⁽³⁾ ابن الجنيد، سؤالات ابن الجنيد ص: 295.

⁽⁴⁾ الخطيب البغدادي، الجامع، ج: 1، ص: 182.

رابعاً: المسارعة إلى كتابة الحديث على وجهه وعمومه:

عن علي بن المديني، قال: "سمعنا مصنفات وكيع، وأخرج الزيادات بعد، فخرجنا إلى الكوفة فجعلنا نتتبع تلك الزيادات، ويحيى بن معين يكتب على الوجه لئلا يسقط عليه حديث"⁽¹⁾.

وعن حسن الزعفراني قال: "رأيت يحيى بن معين يعرض على عفان ما سمعه من يحيى بن سعيد القطان"⁽²⁾.

قلت: وذلك من شدة حرص يحيى بن معين على الأحاديث وحتى لا يسقط منها شيء، كان منشغلاً بكتابتها على الوجه الصحيح الذي سمعه وعُرف به. وهذا يعلّم طالب الحديث الحرص والمصارعة إلى كتابة ما حفظ، حتى لا ينسى أو يسقط من ذهنه شيء.

وكما قال أبو عبيد القاسم بن سلام: "انتهى العلم إلى أربعة: إلى أحمد بن حنبل، وعلي بن المديني، وأبي بكر بن أبي شيبة، ويحيى بن معين، وهو أكتهم له"⁽³⁾. قلت: وابن معين هو أكتهم للحديث، وأقل من أحمد بن حنبل وعلي بن المديني رواية له، كما سيمر معنا لاحقاً.

خامساً: النهم في طلب الحديث وتنويع مصادره:

عن محمد بن علي بن داود، قال: سمعت يحيى بن معين، يقول: "أشتي أن أقع على شيخ ثقة، عنده بيت ملآن كتباً أكتب عنه وحدي"⁽⁴⁾.

قلت: وقد وردت أخبار عديدة عن يحيى بن معين تدل على إكثاره ونهمه في طلب الحديث، حتى أصبح شغله الشاغل. ورغم مكانته العلمية العظيمة التي وصل لها، إلا أنه قبل وفاته لا يزال يشتهي طلب الحديث على يد شيخ ثقة بيته مليء بالكتب، وقد وصف ابن معين الشيخ بأنه ثقة عالم مشهور بالتصانيف، ورغب أن يكتب عنه وحده، أي: أن يسبق إليه وينهل من علمه. ومن الحري أن تكون هذه أمنية كل طالب حديث، وأن تكون همته لتحصيل العلم في العلياء.

⁽¹⁾ الخطيب البغدادي، الجامع، ج:2، ص:187.

⁽²⁾ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج:14، ص:201.

⁽³⁾ ابن حنبل، العلل ومعرفة الرجال، ج:1، ص:53.

⁽⁴⁾ الخطيب البغدادي، الجامع لأخلاق الراوي، ج:2، ص:139.

وقد عرض ابن عليّة كتب ابن جريج على عبد المجيد بن عبد العزيز بن أبي رواد فأصلحها له، فقال عباس الدوري ليحيى: ما كنت أظن أن عبد المجيد بن عبد العزيز بن أبي رواد هكذا، فقال: "كان أعلم الناس بحديث ابن جريج ولكنه لم يكن يبذل نفسه للحديث"⁽¹⁾.

وإن كثرة سماع طالب العلم للمرويات من شيوخ بلده أولاً، ثم رحلته في طلب الحديث؛ هي من أهم أسباب اكتساب العلم، ودلالة قوية على علم الرجل؛ حيث ذكر ابن معين أربعة أصناف لا يؤنس منهم رشداً، وذكر من بينهم: من لا يرحل في طلب الحديث؛ فعن جعفر الطيالسي، قال: سمعت يحيى بن معين، يقول: "أربعة لا يؤنس منهم رشداً: حارس الدرب، ومناذي القاضي، وابن المحدث، ورجل يكتب في بلده ولا يرحل في طلب الحديث"⁽²⁾.

فهناك إذن فرق شاسع بين علم من رحل في طلب الحديث ومن لم يرحل، وقد رحل ابن معين إلى بلاد الحجاز وأقام بها وأتى على حديثهم، ثم دخل اليمن فأتى على حديثهم، ثم رجع إلى البصرة والكوفة فأقام عند أئمة ذلك الوقت، ثم خرج إلى الشام ومصر ليأخذ الحديث من أهله.

سادساً: السلام على الشيخ والزلاء قبل الانصراف أو السفر:

ينبغي لطالب الحديث أن يسلم على أصحابه وشيخه إذا أراد الخروج، لينال الثواب والأجر، وكذلك تقديراً لأهل العلم، وزيادة في الرابطة والألفة بينهم. يقول يحيى بن معين: "من أراد الخروج إلى مكان فجاءنا فسلم علينا، فإذا قدم وجب علينا أن نذهب فنسلم عليه، وإلا فالطرقات بيننا وبينه"⁽³⁾.

وهنا ينبّه ابن معين على أدب السلام، ويحث على أهمية السلام لمن أراد الخروج من المجلس، وأهمية السلام أيضاً على من قدم إلى المجلس، وهذا أدب عظيم يغفل عنه بعض أهل العلم، وغيرهم.

⁽¹⁾ الدوري، تاريخ ابن معين، ج:3، ص:86.

⁽²⁾ الخطيب البغدادي، الجامع، ج:2، ص:225.

⁽³⁾ المرجع السابق، ج:2، ص:239.

المطلب الثالث: آداب المحدث عند ابن معين

إنّ الانكباب على خدمة الحديث النبوي، وتعليمه ونشره بين الناس يحتاج آداباً جمّة وأخلاقاً رفيعة، تليق بجلالة قدر المحدثين، وعلو مرتبتهم في العالمين. ولا يصح أن يكون المحدث عارياً من الآداب والأخلاق، وهو خير سفير عن خير البشر للناس كافة ﷺ.

وقد أورد ابن معين جملة من الآداب التي تخص المحدث، وهي كالآتي:

أولاً: صدق المحدث وحفظ كتابه:

قال يحيى بن معين: "ينبغي للمحدث أن يثّر بالصدق، ويرتدي بالكتب"⁽¹⁾. وهنا تشبيه بليغ، حيث شبه ابن معين الصدق بالإزار، والكتاب الصحيح بالرداء، أي: يكون المحدث صدوقاً لا يترك الصدق كإزاره، ولصيقاً بكتبه كردائه، وكلاهما مكمل للآخر. وقال: جعفر بن أبي عثمان، قال: سمعت يحيى بن معين، يقول: "إظهار المحبرة عز"⁽²⁾.

وعن عباس الدوري يقول سمعت يحيى بن معين يقول: "إذا رأيت الرجل نظيف الثياب، مليح المحبرة والمقلمة، فاعلم أنه لا يفلح"⁽³⁾. أي: أنه من كان نظيفاً مرتباً فهذا قد يدل على عدم تعامله مع الخبر كثيراً وبالتالي عدم انشغاله بالعلم. ويقابله الحريص على مراجعة كتبه وتدقيقها، والذي يكثر من استعمال الخبر على الدوام، فهذا غالباً ما يظهر ذلك في هيئته؛ كاتساخ ملابسه بالخبر.

ثانياً: تواضع المحدث وعدم الاغترار بعلمه:

عن عبيد الله بن محمد الرقي، قال: "قلت ليحيى بن معين: أحمد الله، قد أصبحت سيد الناس، فقال لي: اسكت، أصبح سيد الناس عاصم بن علي، في مجلسه ثلاثون ألف رجل"⁽⁴⁾. وفي رواية عن أبي عبد الله الجعفي الكوفي قال: سمعت يحيى بن معين يقول: "عاصم بن علي بن عاصم سيد المسلمين"⁽⁵⁾.

(1) الخطيب البغدادي، الجامع، ج: 2، ص: 230.

(2) الخطيب البغدادي، الجامع، ج: 1، ص: 252.

(3) السمعاني، أدب الإملاء والاستملاء، ص: 118.

(4) الخطيب البغدادي، الجامع، ج: 2، ص: 56.

(5) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج: 14، ص: 170.

قلت: لم يقل صاحب ابن معين له: (قد أصبحت سيد الناس) إلا وقد رأى ذلك بعينه، وسمع بأذنيه إطرأ وثناء الناس عليه، أي أنه رأى ما وصل إليه من مكانة عالية في العلم، ومع ذلك لم يقبل يحيى ابن معين أن يقال له: (سيد الناس)، وأمره بالسكوت ونَسَب هذه الصفة لغيره، وأثنى على مجلسه.

وهاتان العلامتان: الأولى إسكاته وعدم موافقته، والثانية: ذكره لغيره من أقرانه المحدثين (عاصم بن علي الواسطي) وعدم إغفاله له، تدلان على صدقه مع الله، فصدقه، وأعلى شأنه.

ويؤكد تواضعه ما ورد عن تلميذه عباس، قال: سمعت يحيى بن معين بالبصرة، وذكروا أحمد بن حنبل فقال يحيى: "أراد الناس منا أن نكون مثل أحمد بن حنبل، والله لا نقوى على أحمد، ولا طريق أحمد"⁽¹⁾.
ثالثاً: أداء الحديث وعدم كتبه:

عن جعفر الطيالسي، يقول: سمعت يحيى بن معين، يقول: "أول بركة الحديث إفادته"⁽²⁾.

وعن عبد الجبار بن عاصم، قال: سمعت يحيى بن معين، يقول: "من بخل بالحديث، وكنتم على الناس سماعهم لم يفلح"⁽³⁾.

وإفادة الناس بالعلم، والمذاكرة، أو النسخ، أو إعارة الكتب، وغيرها، هي أول منفعة وبركة للحديث. ويؤكد ذلك قول ابن المبارك: "إن أول منفعة الحديث أن يفيد بعضكم بعضاً"⁽⁴⁾. وقول الإمام مالك: "من بركة الحديث إفادة بعضهم بعضاً"⁽⁵⁾.

وعُرف ابن معين بقله روايته للأحاديث مقارنة بأقرانه؛ وذلك لانشغاله ببيان حال الرجال، فقد ورد عنه أنه قال: "إنّا لنطعن على أقوام لعلمهم قد حطوا رجالهم في الجنة منذ أكثر من مائتي سنة"⁽⁶⁾.

⁽¹⁾ ابن عدي، الكامل في ضعفاء الرجال، ج: 1، ص: 211.

⁽²⁾ الخطيب البغدادي، الجامع، ج: 2، ص: 201.

⁽³⁾ المرجع السابق، ج: 1، ص: 240.

⁽⁴⁾ المرجع السابق، ج: 2، ص: 150.

⁽⁵⁾ ابن الصلاح، معرفة أنواع علم الحديث، ص: 355.

⁽⁶⁾ الخطيب البغدادي، الجامع، ج: 2، ص: 150.

قلت: وهذا أيضاً يدخل في إفادة الحديث، بل هي من أكبر الإفادات وأصعبها؛ إذ لا يجوز أن يُروى كل ما نُسب إلى النبي الأكرم ﷺ دون دراسة أحوال الرجال، والتثبت من صحة سند الرواية، وغيرها من الأمور.

وقد عَقِبَ الخطيب البغدادي على كلام يحيى بن معين الآنف بقوله: "فيه بيان أنّ من علم من حال الرواة أمراً لا يجوز معه قبول روايتهم وجب عليه إظهاره؛ لأن الحديث لا يكتفى في قبوله لمجرد الصلاح والعبادة، كما لا يكتفى بذلك في قبول الشهادة"⁽¹⁾.

رابعاً: أن يكون المحدث نبياً وفطناً ذكياً؛

قال يحيى بن معين: "من حدّث وهو لا يفرق بين الخطأ والصواب، فليس بأهل أن يحمل عنه"⁽²⁾.

قلت: التحديث يتطلب رجلاً يقظاً صادقاً غير مغفل حتى يحمل عنه الحديث، وإلا كما قال ابن معين فهو ليس بأهل أن يحمل عنه. ليس هذا فحسب بل سيحكم عليه المحدثون بالضعف، وترد أحاديثه، وقد تسرق كتبه لغفلته. فعن بشر بن موسى، قال: سمعت يحيى بن معين، يقول: "ويل للمحدث إن استضعفه أصحاب الحديث، قلت له: يعملون به ماذا؟ قال: إن كان كودناً⁽³⁾ سرقوا كتبه، وأفسدوا حديثه، وحبسوه وهو حاقن حتى يأخذه الحصر، فيقتلوه شر قتلة، وإن كان ذكراً فحلاً استضعفهم وكانوا بين أمره ونهيه، قلت: وكيف يكون ذلك؟ قال: يعرف ما يخرج من رأسه، ويكون هذا الشأن صنعته، أما سمعت أبا بكر الهذلي كيف يقول: قال لي الزهري: أيعجبك الحديث؟ قلت: نعم، قال: أما إنه يعجب ذكور الرجال ويكرهه مؤنثهم. أما ذكور الرجال فهم الذين يطلبون الحديث والعلم وعرفوا قدره، وأما مؤنثهم فهم هؤلاء الذين يقولون: إيش نعمل بالحديث، وندع القرآن؟ أو ما علموا أن السنة تقضي على الكتاب، أصلحنا الله وإياهم"⁽⁴⁾.

⁽¹⁾ الخطيب البغدادي، الجامع، ج 2، ص 201.

⁽²⁾ العسكري، تصحيفات المحدثين، ج 1، ص 11.

⁽³⁾ الكُوْدُنُ: البرْدُونُ (البغل) يوكّفُ ويشبّه به البليد. ينظر: الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ج 21، ص: 2187.

⁽⁴⁾ الخطيب البغدادي، الجامع، ج 1، ص: 141.

قلت: على الرغم من ضبط يحيى بن معين لهذا العلم وتحريره، ومعرفته بما يخرج من رأسه، إلا أنه يخشى أن يكون في مرمى النقد، كما قال حين سأله جعفر الطيالسي عن عدم تحديثه فقال: "أنا حر، أذهب أكون عبداً"⁽¹⁾. ويستدل من هذا؛ شدة تحري ابن معين في الضبط وحرصه، فكيف بغيره؟!

وهذا يذكرني بقوله للرجل المستعجل الذي مر معنا سابقاً: "اذكرني أنك سألتني أن أحدثك فلم أفعل"⁽²⁾. وهذا يدل أيضاً على تيقظ ابن معين وتخيره من يحدث من الناس، فليس هدفه تكثير تلاميذه؛ بل صون السنة النبوية والحفاظ عليها، وذلك بتسليمها إلى من هو أهل لحملها.

وعن علي بن الحسين بن حبان، قال: "وجدت في كتاب أبي بخط يده، ذكر أبو زكريا أبا عبيدة الحداد، فقال: كان من المتثبتين، ما أعلم أننا أخذنا عليه خطأ البتة، جيد القراءة لكتابه"⁽³⁾.

خامساً: تقديم المحدث من هو أعلم منه:

عن أحمد بن أبي الحواري قال: سمعت يحيى بن معين، يقول: "إن الذي يحدث بالبلدة وبها من هو أولى بالتحديث منه أحق"⁽⁴⁾. وقوله: "إذا حدثت في بلدة فيها مثل أبي مسهر فيجب لحيتي أن تحلق"⁽⁵⁾. وقال: "محمد بن المبارك شيخ البلد بعد أبي مسهر"⁽⁶⁾.
وسئل يحيى بن معين عن مسألة فقهية، عن رجل خير امرأته فاخترت نفسها فقال: "سل عن هذا أهل العلم"⁽⁷⁾.

(1) الخطيب البغدادي، الجامع، ج: 1، ص: 222.

(2) ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج: 65، ص: 30.

(3) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج: 12، ص: 247.

(4) الخطيب البغدادي، الجامع، ج: 1، ص: 319.

(5) المرجع السابق، ج: 1، ص: 319.

(6) المرجع السابق، ج: 2، ص: 206.

(7) ابن عبد البر، جامع بيان العلم وفضله، ج: 2، ص: 1114.

قلت: وكأنَّ ابن معين كره للرجل أن يحدث في بلد أو يفتي وفيه من هو أولى منه علماً، تأدباً معه واحتراماً له، وصوناً للعلم من الخطأ؛ لأنَّه كلما قُدِّم الأُعلم قلَّ الخطأ وانتشر العلم الصحيح، وهذا مما ينبغي تحقيقه في جميع العلوم، وخاصة الشرعية منها.

سادساً: الورع وترك التحديث إن خشي التخليط:

بلغ ابن معين أنَّ علي بن المديني أخطأ في حديث بسر بن راعي العير فقال: "بشر بن راعي العنز، فحلف ألا يروي حديثاً بعدما غلط علي بن المديني، فلم يحدث حتى مات"⁽¹⁾. ولنا في العلماء أسوة، وعلماء الحديث هم القدوة والأسوة بعد نبينا محمد ﷺ وأصحابه رضوان الله عليهم أجمعين. ومن خلال القول السابق يظهر مدى ورع ابن معين وخشيته من الخلط في الأحاديث؛ فلما بلغه غلط ابن المديني -ولا أحد يجهل قوة حفظ ابن المديني ومكانته في الحديث- خاف على نفسه من التخليط، فترك التحديث حتى مات رحمه الله. والإنسان لا يأمن على نفسه الخطأ والتحريف، ومن رأى في نفسه -والإنسان على نفسه بصيرة- ضعفاً لكبر سنه أو تغيّر حاله، فالأفضل له أن يترك التحديث حتى لا يفسد السنة بتحريف أو تصحيف.

⁽¹⁾ الخطيب البغدادي، الجامع، ج:1، ص:287.

الخاتمة:

أحمد الله سبحانه على التمام، وأسأله التجاوز والغفران، وفي نهاية البحث أذكر أهم النتائج وهي:

- ليحيى بن معين أقوالٌ مهمة في آداب طالب الحديث والمحدث تدل دلالة كبيرة على عقليته الفذة وأدبه الجم، لا بد للمشتغلين بالحديث من الاطلاع عليها والاستشهاد بها.
- هناك آداب قيمة لم يقلها يحيى بن معين صراحة-حسب اطلاعي- بل تستنبط من أفعاله التي وصفها غيره، كتوقيره لشيخه ونحوها.
- حذر ابن معين طالب الحديث والمحدث من الوقوع في الخطأ في الحديث، والتراجع إن تبين الخطأ، مع قبول النصيحة.
- من الآداب التي حث ابن معين طالب الحديث لزوم السكينة والوقار وعدم الاستعجال وتقييد العلم واغتنام الوقت مع الأخذ بالأحوط وتوقير المحدث وتبجيله، والمصارعة إلى كتابة الحديث على وجهه وعمومه والنهم في طلب الحديث. وتنوع مصادره والسلام على الشيخ والزملاء قبل الانصراف أو السفر.
- وأوصى ابن معين المحدث أن يؤدي الحديث ولا يكتمه ويصدق في حديثه ويحفظ كتابه مع التواضع وعدم الاغترار بعلمه، ويقدم من هو أعلم منه، ويترك التحديث إن خشي التخليط.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

قائمة المصادر والمراجع:

- (1) ابن حنبل، أحمد بن محمد بن حنبل. (1995م). المسند (ط1). تحقيق شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد. بيروت. لبنان: مؤسسة الرسالة.
- (2) ابن حنبل، أحمد بن محمد بن حنبل. (2001م). العلل ومعرفة الرجال رواية ابنه عبد الله (ط2). تحقيق وصي الله بن محمد عباس. الرياض. المملكة العربية السعودية: دار الخاني.
- (3) ابن الصلاح، عثمان بن عبد الرحمن الشهرزوري. (2003م). معرفة أنواع علم الحديث (ط1). تحقيق عبد اللطيف الهميم وماهر ياسين الفحل. بيروت. لبنان: دار الكتب العلمية.
- (4) ابن عدي، عبدالله الجرجاني. (1997م). الكامل في ضعفاء الرجال (ط3). تحقيق عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض بيروت. لبنان: دار الكتب العلمية.
- (5) الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة. (1413هـ-1993م). الشرائع المحمدية والخصائل المصطفوية (ط1). تحقيق سيد بن عباس الجليبي. مكة المكرمة. المملكة العربية السعودية: المكتبة التجارية.
- (6) الجوهرى، أبو نصر إسماعيل بن حماد. (1404هـ-1984م). الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (ط3). تحقيق أحمد عبد الغفور عطار. بيروت. لبنان: دار العلم للملايين.
- (7) الخطيب البغدادي، أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي. (2002 م). تاريخ بغداد. (ط1). تحقيق الدكتور بشار عواد معروف. بيروت. لبنان: دار الغرب الإسلامي.
- (8) الخطيب البغدادي، أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي. (1983م). الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع. (بدون طبعة). تحقيق محمود الطحان. الرياض. المملكة العربية السعودية: مكتبة المعارف.
- (9) الخطيب البغدادي، أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي. (1409). الكفاية في معرفة أصول علم الرواية. (بدون طبعة). تحقيق أبي عبدالله السورقي وإبراهيم حمدي المدني. المدينة المنورة. المملكة العربية السعودية: المكتبة العلمية.
- (10) الذهبي، محمد بن أحمد. (1417هـ-1996م). سير أعلام النبلاء (ط1). تحقيق شعيب الأرنؤوط. بيروت. لبنان: مؤسسة الرسالة.
- (11) الرامهرمزي، الحسن بن عبد الرحمن. (1404هـ-1984). المحدث الفاصل بين الراوي والواعي (ط2). تحقيق محمد عجاج الخطيب. بيروت. لبنان: دار الفكر.
- (12) السمعاني، عبد الكريم بن محمد. (1401هـ-1981م). أدب الإملاء والاستملاء (ط1). تحقيق ماكس فايسفايلر. بيروت. لبنان: دار الكتب العلمية.

- (13) العسكري، الحسن بن عبدالله بن سعيد بن إسماعيل. (1402هـ). تصحيقات المحدثين (ط1). تحقيق محمود أحمد ميرة. القاهرة. مصر: المطبعة العربية الحديثة.
- (14) النووي، يحيى بن شرف. (1392هـ). المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج (ط2). بيروت. لبنان: دار إحياء التراث العربي.
- (15) الهيثمي، أحمد بن محمد بن علي بن حجر (1419هـ-1998م). أشرف الوسائل إلى فهم الشمائل (ط1). تحقيق أحمد بن فريد المزيدي. بيروت. لبنان: دار الكتب العلمية.